

الروح و النفس

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

الروح و النفس

الروح والنفس معناهما واحداً ، يقول الله عز وجل :

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١)

ويقول سبحانه وتعالى :

(... وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) (٢).

فالمقصود بالنفس فى الآيتين هى الروح .

وقد ذكر القرآن الكريم الأنفس ، فما المقصود بالنفس فى اللآيتين هى الروح .

وقد ذكر القرآن الكريم الأنفس ، وقسمها إلى ثلاثة أقسام وهى :-

أولاً : النفس الأمّارة بالسوء .

ثانياً : النفس اللّوامة .

ثالثاً : النفس المطمئنة .

والحقيقة أن هذه الأقسام الثلاثة ليست باقسام للنفس، إنما هى فى الحقيقة

(صفات لها) فهناك نفس موصوفة باللّوامة وأخرى بالأمّارة بالسوء ، وثالثة بالنفس

المطمئنة قال تعالى : فى وصف النفس الأمّارة بالسوء

١. - سورة الزمر : الآية ٤٢ .

٢. - سورة الأنعام : من الآية ٩٣ .

(وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١)

فإذا شذبت النفس ، وهذبت بالإسلام وتعاليمه السمحة ، إلى الخير ، وينهاها عن الشر ويحاسب نفسه ، فإذا ما وصلت النفس إلى هذا الطور من المحاسبة ، والمراقبة ، واليقظة استرحت النفس للخير ، وأطمأنت إليه ، وضافت بالشر ونفرت منه ، ونأت عنه ، تصبح النفس بعد ذلك نفساً لوامة وهي التي تلوم صاحبها على ارتكاب المعصية ، واقتراف الذنوب ، واجترأح السيئات يقول سبحانه

(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) (٢)

فعندما يواصل الإنسان المسلم جهاد نفسه ، وكبح جماح شهواتها فإنه بذلك يرتفع عن النقائص ، ويسمو بنفسه إلى مدارج الكمال ، ويبلغ منزلة الرشد . ليكون أهلاً لجوار الله في الدار الآخرة يقول سبحانه :

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ) (٣)

فحين يرتفع المسلم بالنفس إلى مدارج الحق ، والخير ، والجمال ، والرشد ، والكمال فإنه بذلك تكون النفس قد وصلت إلى مراقى الفلاح ، ودرجات النجاح وهو الاطمئنان الذي يقول فيه الحق سبحانه :

١ - سورة القيامة : الآية ١-٢ .

٢ - سورة يوسف : الآية ٥٣ .

٣ - سورة الحجرات : الآية ٧ .

(يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿١﴾

وما لم يصل الإنسان إلى هذا المستوى الديني ، وتلك الدرجة الرفيعة يكون قد ظلم نفسه ، بل ويعرضها لخسارة فادحة لا يستطيع تداركها ولا الخلاص منها ، يقول الحق تبارك وتعالى:

(فَأَهْمَمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٣٠﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٣١﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿٣٢﴾)

أين تذهب الروح بعد مفارقتها للجسد؟!

إن الروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت حيث إن الجسد إنما يتحرك بالروح ويحس بها كذلك ، وبالروح أيضاً يدرك ، ويعى ، ويفكر ، ويريد ، ويختار ، وبعد مفارقتها للبدن يفنى الجسم ، ويتحلل في التراب ، ولا يبقى منه سوى " عجب الذنب " الذي سيفنيه الله عز وجل وذلك على رأى بعض العلماء ، ويرى بعضهم أنه يبقى لأنه أصل الإنسان ، ومنه سيعيده الله عز وجل ، ولكن الروح تبقى وتدرک ، وتعرف زئرها ، وتسمعه وترد عليه السلام ، وتعرفه أيضاً كما أنها تحس بلذة النعيم ، كما تتذوق ألم الجحيم .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه في الدنيا ، ويعرض عليه ذلك كله ، ويرى ويدرى ، مايفعل عنده ، ويسره ما يكون حسناً ، ويتألم بما يكون قبيحاً ، وروى أن السيدة الفضلى عائشة رضی الله عنها كانت تستتر عند قبر " عمر بن الخطاب " رضی الله عنه .وتقول : (أمّا عمر فأجبنى تريد أنه يراها من داخل قبره .

١ - سورة الفجر : الآية ٣٠:٢٧ .

٢ - سورة الشمس : الآية ١٠:٧ .

وروى أن الميت إذا مات واستقبله أهل المقابر وهم في البرزخ ، فيسألونه عن حال أهليهم ، وورد أنهم يسألونه قائلين : " كيف حال فلان " ؟ وهل تزوجت فلانة ؟

سؤال القبر :

أما سؤال القبر ، فقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قبر أم لم يقبر ، فلو أن السباع أكلته ؟ أو أحرق بالنار حتى صار رماداً كما يفعل "الهندوس في الهند " حيث إنهم يقومون بإحراق جثة الميت حتى تصير رماداً ، ثم يذرونه في الرياح ، حسب معتقداتهم الزئفة ، أو غرق في البحر ، أو مات بأية طريقة من الطرائق فإنه سيسأل في القبر عن أعماله ، وسيجازى بالخير خيراً ، وبالشر شراً وأن النعيم يكون بالروح والجسد ، وكذلك يكون العذاب وعلى ذلك مذهب سلف الأمة ، وأئمتها على أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة الجسم في نعيم أو عذاب ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فإذا قامت القيامة وخرج الناس من أجداثهم ، وقاموا لرّب العالمين من قبورهم أعيدت الأرواح للأجساد ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الميت إذا وضع في قبره ، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عند يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة ، والمعروف ، والأجساد عند رجليه فيوتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : (ما قبلى مدخل) ثم يوتى من يمينه فيقول الصيام : (ما قبلى مدخل ثم يوتى عن يساره فتقول الزكاة : (ما قبلى مدخل) ثم يوتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة ، والصلة ، والمعروف والإحسان : (ما قبلى مدخل) فيقال له (اجلس) فيجلس قد مثلت له الشمس ، وقد أخذت للغروب فيقال له (هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : (دعونى أصلى) فيقولان : (إنك

تصلى ستصلى ، أخبرنا عما تسألك عنه ؟ رأيتك يعنى (أخبرنا) أن هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد عليه ؟ فيقول : (محمد صلى الله عليه وسلم) أشهد أنه رسول جاء بالحق من عند الله .

فيقال له : (على ذلك حييت ، وعلى ذلك مُتّ ، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له : (هذا مقعدك وما أعدّ الله لك فيها ، فيزداد غبطة و سروراً ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً ، وينور له فيه ، ويعاد الجسد لما بدىء منه تجعل نسمة يعنى (روجه) فى النسيم الطيب ، وهى طير معلق فى شجر الجنة . (١)

قال: كذلك قول الله تعالى:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) . (٢) وقيل فى الكافر عكس ذلك إلى أن قال : (ثم يضيق على الكافر فى قبره ، إلى ان تختلف فيه أضلاعه ، فتلك المعيشة الضنك التى قال الله فيها :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى) ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ١٢٥ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى . (٣)

وذهب ابن حزم ، وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الرّيح فحسب ، وخالفهم فى ذلك الجمهور ، وهو أن الرّيح تعاد إلى الجسد أو بعضه كما ثبت فى الحديث أن الله تعالى يعيد إليه الرّيح بقدر ما يتوقف عليه فهم السؤال وردّ الإجابة ، وهو الصحيح ، وما نرتضيه

١- د الإمام أحمد .
٢- سورة ابراهيم: الآية ٢٧ .
٣- سورة طه الآية : ١٢٤ .

ونفيل إليه ، بل ونؤيده أما استدلال الذين يقولون إن ذلك يقع على الروح فقط ، كون بعض الناس يموت غريقاً ، أو حريقاً ، أو أن سُبُعاً أكله فإننا نردّ على هؤلاء بقولنا : (إن الله عزوجل هو الذى خلقه ، وفطره ، وأنشأه ، وهو قادر على إعادته .

قال تعالى :

(أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ جَمَعَ عِظَامَهُ ﴿٧٦﴾ بَلَى قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٧٧﴾) (١)

فانظر إلى البنان وهو طرف الإصبع ، كيف سواه الله عزوجل بإحكامٍ ودقة ويقول الله عزوجل أيضاً : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴿٧٦﴾ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٧﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٧٩﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ تَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨١﴾) (٢)

ولقد ثبت علمياً أن بشره: الأصابع مغطاه بخطوط دقيقة متناهية فى الدقة ، ومنها ما هو على شكل (أقواس) أو (عراو) ، (أو) دوائر (وهذه الخطوط لا يمكن أن يشابه إنسان فيها آخر ولهذا السبب اعتمدها الدول رسمياً ، وأصبحت تميز الإنسان عن الآخر ببصمة الإبهام فتبارك الله أحسن الخالقين . (٣)

ومما لا ريب فيه أنها معجزة من المعجزات التى تدل على أن لهذا الكون إلى خلقه وصنعه وأبدعه ، وأحاطه بقدرته ، وشمله بعنايته ورعايته ، وقدر أقوات العباد ، وأرزاقهم

١. سورة القيامة الآية : ٣.

٢. سورة بين الآية : ٨٢-٨٣.

٣. التبيين فى علوم القرآن / للشيخ محمد على الصابونى ص١٣٦ بتلخيص وتصريف

وآجالهم. (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نسلم الأمر لله ، ونعبده ونوحده ، ونشهد أن لا إله إلا هو .

مستقر الأرواح :

للعلماء كثرة كثيرة من الآراء في مستقر الرِّيح ، ذكرها ابن قَيِّم الجوزية في كتابه (الريح) ثم ذكر القول الراجح منها وهو (إن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم التفاوت .

فمنها أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، والأنبياء أيضا متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء ، فمن الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة وذلك لدين عليه لم يقم بسداده حال حياته ، ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة ، كما في الحديث (رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة) .
ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب (الشملة) التي غلها يعني (سرقها من الغنائم قبل أن تقسم) ثم استشهد فقال الناس (هنيئاً له الجنة) فقال عليه السلام (والذي نفسى بيده إن الشملة التي علها لتشتعل عليه ناراً في قبره ومنهم من يكون مقرراً باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضى الله عنهما (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية(١) . وهذا بخلاف (جعفر بن أبي طالب) حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء .

١. رواه أحمد .

ومنهم من يكون محبوساً في الأرض ، لم تُعَلِّ روحه إلى الملائكة الأعلى فإنها إن كانت روحاً سفلية أرضية ، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية ، كما لا تجامعها في الدنيا .

والنفس العلوية التي كانت في الحياة الدنيا عاكفة على العبادة ، وحبَّ الله ورسوله تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها ، حيث إن المرء مع مَنْ أحب في البرزخ ، ويوم القيامة . فالريح بعد المفارقة تلحق بمثيلاتها ، وأصحاب عملها ، ومن هم على شاكلتها في العمل الصالح .

ما الدور التي تسكنها هذه الأنفس ؟

لهذه الأنفس دور تسكنها ، وكلُّ دار أعظم من أختها .

أولاً ؛ الدار الأولى : يوم أن كنت في بطن أمك وأنت في ظلمات ثلاث .

ثانياً ؛ والدار الثانية هي " الدنيا " تلك الدار التي نشأت فيها وحصلت فيها الخير والشر ، الحسنه والسيئة . والعادة والشقاوة .

ثالثاً ؛ والدار الثالثة هي " البرزخ " وهي دار أوسع من هذه الدار ، وأعظم منها بكثير .

رابعاً ؛ الدار الرابعة : وهي دار القرار ، وهي الجنة أو النار ، فلا دار بعدها ، ولا مقر سواها . يقول الله عز وجل : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ مَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) . (١)

والله سبحانه وتعالى ينقل الريح في هذه الدور طبقاً حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها ، ولها في كل دار من هذه الدور حكمٌ وشأنٌ يخالف شأن الأخرى ، فالحكم الذي يجري عليها وابن آدم في بطن أمه يخالف الحكم الذي يجري عليها

١.سورة القصص : الآية : ٨٣ .

وهو فى الحياة الدنيا بعد ولادته وبعد أن يثبَّ عن الطَّوق ، ويبلغ مبلغ الرجال قوةً وفتوةً والحكم الذى يجرى على الرِّيح وهى الحياة البرزخية مخالفاً تماماً لجميع ما سبق من الأحوال ، وكذلك الكم على الرِّيح وهى فى الدار الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين مخالفاً لجميع الأحوال ، وكل الحالات وذلك حين يقف الخلق جميعاً فى عَرَصاتِ القيامة للفصل والحساب والصراط ، والميزن ، والجنة والنار .

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التى كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وأن بناها بشرّ خاب بانيها
فاعمل لدار غداً رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن بانيها

فالريح فى كل دار من هذه الدور لها أحوال تخالف أحوالها فى الدار الآخرة وشأن غير الشأن الذى يلاقيه فى آية دار من الدور التى أومأنا إليها آنفاً (فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾) (١)
" ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . إنا لله وإنا إليه راجعون .

إليه يرجع الأمر كله ، بيده الخير كله ، والعز جميعه ، والحكم كلها ، والكمال المطلق من جميع الوجوه .

" قل إن الأمر كله لله " .

وموتى ، وعرفت أنى لن ألتقى بك إلا فى الدنيا ، وإنك ترفع بين النبيين ، وعرفت أنى إن دخلت الجنة كنت فى منزلة أدنى من منزلتك فلم يردّ النبى صلى الله عليه وسلم

١.سورة الروم: الآية: ١٩ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (١)
 وقال تعالى : (يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾) (٢)- والمراد يا أيتها النفس المطمئنة ادخلي في جملة عبادي الصالحين وكوني معهم في الجنة ويقال هذا القول للروح عند الموت .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا دليل على أنهم يتلاقون ، لأنهم عند ربهم يرزقون .

وإذا كانوا أحياء فإنهم يتلاقون ، وأنهم يستبشرون بإخوانهم لقد ومهم عليهم ولقائهم لهم ، وأن لفظة يستبشرون (يفيد في اللغة أنهم يبشرون بعضهم بعضاً وفي البلاغة العربية تفيد اللفظة " التجدد و الحدوث " أي أن البشري للشهداء حادثة لهم و متجددة دائماً كما أن في الآية دليلاً على أن الشهيد أفضل من الولي حيث إن الله تعالى يقول في حق الشهداء (يستبشرون) والتعبير بالفعل المضارع يفيد التجدد والحدوث .

أما في حق الأولياء فإن الله تعالى يقول : (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ...) .فهى بشرى واحدة فى الدنيا والآخرة ، إذن فالشَّهيد أفضل من الولي . ولا غرر فإن الشهيد من المرابطين المجاهدين فى سبيل الله ، وقد باع رُوحَهُ فى سبيل عقيدته وإعلاء كلمة الله ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . " عيناان لن تمسهما النار أبداً ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله ، وقال رسول الله

١.سورة النساء: الآية ٦٩ .
 ٢.سورة الفجر: الآية ٢٧-٣٠.

صلى الله عليه وسلم - فى حق الشهداء يبعثون يوم القيامة وأوداجهم تشخب دماً ، اللون لون الدم / والريح ريح المسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوزن يوم القيامة مِداد العلماء ودم الشهداء .

لقاء الأرواح :

هل تتلاقى الأرواح بأرواح الأموات ؟ أجل .تتلاقى أرواح الأحياء مع أرواح الأموات يقول تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ^(١) "فالله سبحانه يتوفى الأنفس حين موتها ، وانتهاء أجلها " (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون والتي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ومعلوم لديه سبحانه وتعالى .

فالإرسال هنا ليس إرسالاً مطلقاً ولكن إلى أجل معلوم ، ومحدد استأثر الله بعلمه فعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى معنى هذه الآية " بلغنى أن أرواح الأحياء و الأموات تلتقى فى المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها .ولا غررٌ ، ولا عجب فإن النائم يرى نفسه فى فرنسه أو أمريكا ، أو أنه عقد صفقة تجارية ، أو أقام بإصلاح بين متخاصمين ، أو زرقريباً له فى هذه البلاد ثم يستيقظ بعد برهة ليقص على الناس ما رأى فى منامه ، فهذا دليل على أن أرواح الأحياء تفارق أجسادهم فى النوم وتساfer وتلتقى بأرواح أخرى ثم تعود إلى جسدها الرابض فى سرير النوم ، فالله يتوفأها فى منامهما فتلقى روح الحى برُوح الميت فيتعارفان

١.سورة الزمر : الآية : ٤٢ .

ويتذاكران بعض الأحوال الدنيوية أو الآخوية ويتحدثان معاً ، ثم تعود رُوح الحى إلى جسده حتى ينتهى أجله وتحين وفاته ، وتريد رُوح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس عن ذلك .
 فالله يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفىها الوفاة الأخرى . وهذا رأى لفريق من العلماء فى الآية الكريمة ، والقول الآخر هو : أن المسكة والمرسلة فى الآية الكريمة كلاهما " توفى وفاة النوم " فالروح التى استكملت أجلها ذكرنا آنفاً أن الموت نُقْلَةٌ من حياة إلى حياة ، نُقْلَةٌ من حياة فانية إلى حياة باقية خالدة ، كما أنها نقلت من دارِ كلها كدُّ ونصب ومَلَلٌ وسأمٌ (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) .

إلى دارِ كلها نعيم يقول تعالى (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فى شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فى ظِلِّلى عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكُونُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فىهَا فَكِهِةٌ وَهُمْ مَّا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿١﴾ .

من هذا المنظور الإسلامى يستبينلنا بجلاء ووضوح تامين أن الروح تُنعم مع الجسد فى الحياة البرخية ، وتعذب كذلك فهل يعرف الأموات الأحياء ؟
 أجل : يعرف الأموات زيارة الأحياء لهم ، ويرثون السلام عليهم يقول ابن عبد البر "ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم . أنه قال : (مامن مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا ردَّ الله عليه روحه حتى يردَّ عليه السلام . وفى الصحيحين عنه صلى لله عليه وسلم . من وجوه متعددة : أن رسول الله عليه السلام أمر بقتلى بدر فى (القليب) (٢) . ثم جاء عليه السلام ووقف عليهم ، وناداهم بأسمائهم قائلاً : يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، يا فلان يا فلان ويا فلان بن فلان . لقد وجدت ما وعدنى ربى

١.سورة يس : الآية : ٥٥-٥٨ .
 ٢.القليب : البئر .

حَقَّافَهْل وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ !!وهذا على سبيل التهكّم والسخرية والإستهزاء حيث لا ربّ سواه ولا إله غير، .

فقال له " عمر بن الخطاب " جَبَّارِ الجاهلية وعملاق الإسلام رضى الله عنه :
يا رسول الله .أتخاطب قوماً قد جيفوا ؟ !!

فقال صلى الله عليه وسلم والذي يقنى الحقّ ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون جواباً .

وهذا الموقف يصوّره الشاعر الإسلامي " حسان بن ثابت " رضى الله عنه فيقول :

يناديهم رسول الله لمّا	تركناهم كباكب ^(١) فى القلب
ألم تجدوا حديثى كان حقّا	وأمرالله يأخذ بالقلوب
فما نطقواولو نطقوا لقالوا	صدقت وكنت ذا رأى مُصيب

وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين لجنارته إذا ما انصرفوا عنه ، ويعيد الله فيه الحياة بقدر ما يتوقف عليه فهم السؤل ، وردّ الإجابة ، ولذلك شرع الرسول صلى الله عليه وسلم .لأمنه إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلاماً منّ يخاطبونه ، فيقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين) وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المردود والجماد والسلف مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له ويستبشر به فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من رجل يزيّر قبر أخيه ، ويجلس عنده إلا استأنس به وردّ عليه حتى يقوم .)

١.كباكب يعنى : مجتمعين .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : (إذا مرَّ الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلمَّ عليه ردَّ عليه السلام وعرفه ، وإذا مرَّ بقبر لا يعرفه فسلمَّ عليه ردَّ عليه السلام الشمس علم الميت بزيارته وذلك لفضل يوم الجمعة .

وحدّث رجل من آل " عاصم الجحدري " قال : (رأيت عاصماً الجحدريّ فى منامى بعد موته بستين فقلت أليس قد (مُتَّ) ؟ قال بلى فأين أنت ؟ قال أنا والله فى رِيضَةٍ من رياض الجنّة ، أنا وتفرُّ من أصحابي نجمع كلَّ ليلة جمعة وصبيحتها إلى (بكر بن عبد الله المزني) فنلتقى أخباركم قال : قلت له : (أجسادكم أم أرواحكم)؟ قال هيهات !! بليت الأجسام ، وإنما تتلاقى الأرواح ، قال : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال نعم .نعلم بها عشية الجمعة كله ، ويوم السبت إلى طلوع الشمس قال : قلت : فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال : لفضل يوم الجمعة وعظمته .ومكان يوم الجمعة عظيم حقاً حيث إن الله خلق فيه آدم ، وفيه أدخله الجنّة ، وفيه أخرجهم الجنّة ، وفيه تاب عليه ، أعاده إلى الجنّة ، وفى يوم الجمعة ساعة إجابة مابسط عبد فيها يديه إلى ربه إلاّ استجاب له .

ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة فيوم الجمعة تاريخ إسلامى عظيم ، ومغفرة من الله ورضوان لمن جأر إلى الله بالدعاء ، ولذلك أخفيت ساعة الإجابة يوم الجمعة ليهرع الناس إلى المساجد فى وقت باكرٍ بالدعاء والرجاء (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ). (١)

ويقول الفضل بن الموفق : (لما مات أبى جزعت عليه جزعاً شديداً فكنت آتٍ قبره فى كل يوم ، ثم قصرت عن ذلك ما شاء الله ثم إنى أتيته يوماً فبينما أنا جالس عند القبر

١.سورة الجمعة : الآية ٩.

غلبتني عيناي فممت فرأيت كأن قبر أبي قد انفرج وكأنه قاعد في قبره؛ متوشحاً أكفانه عليه سحنة الموتى قال فكأنى بكيت لما رأيته .

قال : (ما جئت مرةً إلا علمتها ، وقد كنت تأتيني فأنس بك وأسرُّ بك ، ويسرُّ من حولي بدعائك . قال : فكنت آتية بعد ذلك كثيراً . وعن عائشة رضی اللہ عنہا أنها قالت : قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : (ما من رجل يزير قبر أخيه فيجلس عنده " إلا استأنس به حتى يقوم " . وهذا دليل على أن الميت يعرف سلاماً من يسلم عليه ، ودعاء من يدعو له ، ولولا أن الميت يسمع السلام والدعاء من الأحياء ما كانت هناك فائدة من تلقين الميت في قبره ، ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة ، بل كان ذلك الفعل عبثاً وقد سئل عنه (الإمام أحمد بن حنبل) يرحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل

ويروى في ذلك حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث " أبي أمامه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان : ابن فلانه فإنه يسمعه ولا يجيب ، ثم يقل يا فلان ابن فلانه للمرة الثانية فإنه يستوى قاعداً (يعنى الميت) ثم ليقل : يا فلان ابن فلانه فيقول له الميت : أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا يعنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنتك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً ، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول : انطلق بنا ، ما يقعدنا عند هذا .

وقد لَقِّنَ حِجَّتَهُ ويكون الله ورسوله حجته دونهما فقال رجل يا رسول الله دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال : ينسبه إلى أمه حواء .

هل تتلاقى أرواح الأموات وتتزاور؟

(الأرواح قسمان) :

(القسم الأول) : أرواح منعمة .

(القسم الثاني) : أرواح معذبة .

فالأرواح المعذبة تكون فى شغل شاغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى . أما الأرواح المنعمة فهى أرواح مرسله غير محبوسة ، يقول تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) ^(١) فعيلة بمعنى مفعولة ، يعنى رهينة بمعنى مرهونة ، أى محبوسة الأرواح المحبوسة لا ترى فى الرؤيه ، ولا تلتقى بغيرها ، أما الأرواح المرسله المطلقة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور ، وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ، وما يكون أهل الدنيا فتكون كل ریح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها وهذه عملية تصنيف فى الحياة البرزخية .

فكل ریح مع التى تتوافق معها فى العمل ، وبمعنى أدق مع الریح التى كانت تماثلها فى الدنيا عملاً ، وطاعة ، وعبادة . أمّا روح نبيّنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم . فهى فى الرفيق الأعلى قال تعالى (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) ^(٢) وهذه المعية ثابتة فى الدنيا ، وفى الحياة البرزخية ، وفى دار الجزاء ، والمرء مع مَنْ أحبّ فى هذه الدّور الثلاثة . وجاء رجل من الأنصار يبكى إلى النّبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما يبكيك يا فلان ؟ فقال : يا نبي الله والله الذى لا إله إلا هو لأنّك أحبّ إلىّ من نفسى وأنا أذكرك أنا وأهلى فيأخذنى كذا حتى أراك ، فذكرت موتك أمسكها الله سبحانه

١.سورة المنثر : الآية ٣٨ .

٢.سورة النساء : الآية ٦٩ .

وتعالى عنده فلن يردها إلى جسدها مرة ثانية ، والرُّوح التي لم تستكمل أجلها يردها إلى جسدها حتى تستوفى أجلها. قال تعالى " (.....) لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" (١)

ونحن إلى هذا الرأى نميل .وعلى ذلك يدل القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، فالأرواح قسمان .قسم قضى عليه الموت فأمسكه لديه ، وقسم لم يقضى عليه الموت فأرسله مرة أخرى .حتى يحين قطاف أجله ، وانتهاء حياته ، فالوفاة وفاة موت ، ووفاة نوم .

فالوفاة أولاً: وفاة "نوم" فإذا كان الله قد قضى عليها الموت يمسكها ، وإذا لم يكن قضى عليها الموت يرسلها .ولذلك يقول سبحانه "الله يتوفى الأنفس حين موتها" فأرواح الأحياء تلتقى بأرواح الأموات ، ويتذاكرين ما كان بينهما فى الدنيا من الأحوال .

ويقول " سعيد بن المسيّب " : التقى " عبد الله ابن سلام وسلمان الفارسيّ " . فقال أحدهما للآخر: " أن متّ قبلك فالقى فأخبرنى ما لقيت من ربك وإن أنا متّ قبلك لقيتك فأخبرتكَ ، فقال الآخر: (وهل تلتقى الأموات والأحياء ؟ !! قال : نعم أرواحهم فى الجنة تذهب حيث تشاء .

وقال " العباس بن عبد المطلب " رضى الله عنه " كنت أشتهى أن أرى " عمر بن الخطاب .رضى الله عنه فى المنام ، فما رأيته إلا عند قرب الحول، أى بعد مضى سنة إلا قليلا ثم رأيته رضى الله عنه يجفّف العرق عن جبينه وهو يقول : " هذا أو أنّ فراغى " إن كاد عرشى ليهدّ لولا أن لقيت رؤوفاً رحيماً .وقال " عبد الله بن عمر بن عبد العزيز رأيت أبى فى النوم بعد موته كأنّه فى حديقة فدفع إلى تفاحات فأولتهنّ الولد .ثم قلت له أى الأعمال وجدت أفضل ؟ فقال رحمة الله : الإستغفار يابنى . (٢)

١.سورة الرعد :من الآية ٣٨ ..
٢.الروح لابن القيم -دار مكتبة التربة - بيروت - لبنان .

ورأى " مسلمة بن عبد الملك ابن مروان " " عمر بن عبد العزيز " رضى الله عنه وهو خامس خلفاء بنى أمية ، ويترضى عنه لأنه سلك مسلك الخلفاء الراشدين " رضى الله عنهم فى العدل ، والزهد ، والعبادة ، والورع ، والتقوى رآه بعد موته فقال له : يا أمير المؤمنين " إلى أى الحالات صرت بعد الموت ؟ قال : يا مسلمة : هذا أوان فراغى ، والله ما استرحت إلا الآن قال مسلمة : قلت له فأين أنت يا أمير المؤمنين قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله " أنا مع أئمة الهدى فى جنة عدن "

وقال " سهيل " رأيت مالك بن دينار " بعد موته فقلت " يا أبا يحيى " ليت شعرى ماذا قدّمتَ به على الله . قال " قدمت بذنوب كثيرة محاسنها عنى حسن الظن بالله عزوجل . ويقول ابن عيينه " رأيت " سفيان الثوري " فى النوم فقلت أوصنى : قال " أقلّ من معرفة الناس " وأعله يقصد بذلك شرار الناس ، وفى هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إمّا أن يُحذيك ، وإمّا أن يتباع منه وإمّا أن تجد منه رائحة طيبة ، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك وإمّا أن تشم منه رائحة خبيثة .

فلعلّ المقصود من مقولته هذه (أقلّ من معرفة الناس) شرارهم ، والذين لا خير

فيهم يقول تعالى :

(الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (١)

فإن الإسلام يحذر من مخالطة الأشرار والاتصال بهم ، والتعرف عليهم إلا إذا كانت معرفتهم من باب الحذر والحيطه ، والنأى عنهم حيث إن الشريعة ، ولذلك يوجهنا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فيقول : " يحشر المرء على دين خليله فلينظر

١.سورة الزخرف : الآية ٦٧.

أحدكم من يخالل وهنا ينبهنا ، ويرشدنا عليه السلام إلى انتقاء الأصدقاء واختيار الصحبة ولما ماتت " رابعة العدوية " الصوفية الزهدة ، الورعة ، التقيّة رأتها امرأة من أصحابها وعليها حُلّة من (استبرق) وخمار من (سندس) وكانت (رابعة) قد كفنت فى جُبّة وخمار من صوف الصوف !!؟

قالت رابعة العدوية " : والله إنه نزع عنى ، وأبدلت به هذا الذى ترين على وطويت أكفانى ، وختم عليها ورفعت فى عليّين ليكمل لى ثوابها يوم القيامة ، قالت المرأة لرابعة .لهذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت (رابعة) وما هذا عندما رأيت من كرامة الله لأوليائه ، فقلت لها :فما فعلت (عبده بنت أبى كلاب) فقالت رابعة : هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى ، فقلت لها : وبما وقد كنت لدى الناس أعبد منها ؟ فقالت (رابعة) إن (عبدة بنت كلاب) لم تكن تبالى على أىّ حالٍ أصبحت من الدنيا أو أمست .يعنى أنها كانت فى الدنيا راضية بكل حال والرضا باب من أبواب الزهادة فى الدنيا ، والإيمان الذى لا تخالطه ريبة فى أن الله عزوجل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وهو عالم بما يكون فى صالح العبد ، فالرضا والتسليم من العبادات الراقية ، وإن شئت فقل : هو إيمان الخواص .

لا تدرك لك أمرا

سأمر إلينا

فألوا التدبير هلكا

فنحن أولى بك منك

فقالت المرأة (لرابعة) فما فعل (أبو مالك) تعنى (ضيغماً) فقالت (رابعة العدوية أما) (الضيغم) فإنه يزور الله تبارك وتعالى متى شاء ، قالت المرأة فقلت لها فمأفعل (بشرين منصور) ؟ قالت (رابعة) " (بخٍ بخٍ أعطىَ والله فوق ما كان يأمل) .

قلت لها مُرِنِي بِأَمْ أَتَقْرَبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى : قَالَتْ (رَابِعَةٌ) مَجِيبَةُ الْمَرْأَةِ عَلَى هَذَا السُّؤْلِ : (عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ فَيُوشِكُ أَنْ تَغْتَبِطَى بِذَلِكَ فِي قَبْرِكَ ، وَكَانَ (مَرَّةً الْهَمْدَانِي) قَدْ سَجَدَ حَتَّى أَكَلَ التُّرَابَ جِبْهَتَهُ ، فَلَمَّا مَاتَ رَأَى رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ فِي مَنَامِهِ وَكَانَ مَوْضِعَ سَجُودِهِ كَهَيْئَةِ الْكَوْكَبِ الدَّرِّيِّ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : مَا هَذَا الْأَثَرُ الَّذِي أَرَى بِوَجْهِكَ ؟ قَالَ (مَرَّةً الْهَمْدَانِي) : (كُسِيََ مَوْضِعَ السُّجُودِ بِأَكْلِ التُّرَابِ لَهُ نُورًا) قُلْتُ لَهُ فَمَا مَنَزَّتْكَ فِي الْآخِرَةِ ؟ قَالَ الْهَمْدَانِي : (خَيْرَ مَنْزِلٍ دَارًا لَا يَنْتَقِلُ عَنْهَا أَهْلُهَا وَلَا يَمُوتُونَ وَقَالَ) قَبِيضَةُ بْنُ عَقْبَةَ رَأَيْتَ (سَفِيَانَ الثَّوْرِي) فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ لَهُ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَقَالَ :

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي	هنيئاً رضاي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواماً إذا الليل قد دجا	بعيرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر تريده	وزرنى فإني منك غير بعيد

وَالرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنْ الْأَرْوَاحَ جَنُودَ مَجْنَدَةٍ تَلْتَقِي فِي الْهَوَاءِ فَتَشَامُ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ . وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : فَإِنْ كَانَ طَاهِرًا أُذِنَ لَهَا بِالسُّجُودِ ، وَإِنْ كَانَ جَنِبًا لَمْ يُؤْذَنَ لَهَا بِالسُّجُودِ) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ : إِنْ الْأَرْوَاحَ جَنُودَ تَتَلَاقَى فَتَشَامُ كَمَا تَشَامُ الْخَيْلُ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ وَهَذَا (عَبْدُ الْمَطْلَبِ) جَدُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دُلَّ فِي النَّوْمِ عَلَى زَمْرَمٍ . وَأَصْحَابُ الْكَنْزِ الَّذِي هُنَاكَ ، وَلَا يَنْكُرُ تَلَاقَى الْأَرْوَاحِ ، أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ بِالْأَحْيَاءِ ، وَأَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ بِالْأَحْيَاءِ ، وَأَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ بِالْأَمْوَاتِ إِلَّا جَاهِلًا ، أَوْ مُتَعَنِّتًا جَاهِدًا .

هل الفناء للروح والبدن أم للبدن فقط؟

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

هل الفناء للروح والبدن: أم للبدن فقط ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول وبالله التوفيق : يقول فريق من أهل العلم إن

الروح تموت ، وتذوق الموت ، لأنها (نفس) والله تعالى يقول :

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.....)(^١) والروح والنفس بمعنى واحد ، والأدلة حاسمة فى أنه لا بقاء إلا لله وحده ، قال تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)(^٢) ويقول تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(^٣) . إذا كانت الملائكة تموت فمن باب أولى النفوس البشرية ، وقالوا فى قوله تعالى (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)(^٤) إن الموتة الأولى للبدن والآخرة للروح .

ويرى فريق آخر ، أن الأرواح لا تموت حيث إنها خلقت للبقاء ، وإنما الموت

للأبدان ، وقد جاءت النصوص ، دالة على نعيم الروح ، أو عذابها بعد مفارقتها للبدن إلى

أن يعيدها الله للأبدان ، ولو كانت الروح فانيه لا تقطع عن البدن النعيم والعذاب ولكن

الأمر بخلاف ذلك ، فنعيم القبر وعذابه ثابتان بالكتاب والسنة ، ومنكرهما كافر لأنه أنكر

معلوماً من الدين بالضرورة ، ويقول الله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ)(^٥) وللتوفيق بين الرأيين نقول :

١.سورة آل عمران :من الآية ١٨٥ .

٢.سورة الرحمن : الآية ٢٦ .

٣.سورة القصص : من الآية ٨٨ .

٤.سورة غافر : من الآية ١١ .

٥.سورة آل عمران : الآية ١٦٩-١٧٠ .

الصَّوَابِ وَالرَّاجِحِ أَنْ مَوْتَ النُّفُوسِ ، المقصود به مفارقتها للأبدان ، وهى بذلك تذوق الموت ، أمّا فناؤها ، وعدم وجودها فذلك ممّا لا دليل عليه ، بل إن الروح باقية ، بعد خروجها من الجسد ومنعمة أو معذبة .

وقد وصف الله تعالى الرّيح بالدخول والخروج ، والقبض ، والتوفى ، وصعودها إلى السماوات ، يقول تعالى : (.....وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ...) (١)

ويقول تعالى : (يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾) (٢) يقال لها هذا القول عند مفارقتها للبدن .ويقول تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٣١﴾ فَأَهْمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (٣)

فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه سوى النفس ، كما سوى بدن الإنسان ، والذي أوما إليه بقوله تعالى (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٣٦﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) (٤).

فالله عزوجل سوى نفس الإنسان ، كما سوى بدنه .فتسوية البدن تابع لتسوية النفس ، والبدن موضوع للنفس مثل (القالب) لما هو موضوع له .ويقول ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .(لما أصيب أخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضرترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلم قالوا : (يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لئلا يرهّدوا فى الجهاد، ولا يئكّلوا عن الحرب فقال الله

١.سورة الأنعام : من الآية٩٣.

٢.سورة الفجر : الآية٢٧.

٣.سورة الشمس : الآية٧.

٤.سورة الإنفطار : الآية٧-٨.

عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ)^(١). وهذا الحديث يصرح^(٢) بجلاء ووضوح تاميين في أن الريح تأكل وتشرب وتتحرك وتنتقل من مكان إلى آخر ، ولا تحصل المتعة كاملة إلا يرجوعها إلى الجسد ، ولذلك نقول : إن النعيم والعذاب في الحياة البرزخية للريح والبدن معاً .

ولقد أومأنا إلى ذلك آنفاً حيث قلنا: إن الريح تعود إلى الجسد ويكون الميت بين الموت واليقظة أى أنه يكون فى حال يستطيع فهم السؤال والإجابة .

وإن الأرواح تصعد إلى بارئها ، ثم تعود إلى الأبدان فى القبر ودليل ذلك قوله سبحانه : (..... لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ أَجْمَلُ فِي سَمِّ الْحَيَاظِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)^(٣) وقال تعالى : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)^(٤) والخلاصة أن العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً وذلك باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب وهى متصلّة بالبدن ، والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليها فى هذه الحال مجتمعين ، كما تكون على الريح منفردة عن البدن .

فالميت إذا مات ، وقبر يكون فى نعيم أو عذاب ، ويحصل ذلك لروحه وبدنه ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لربّ

١.سورة آل عمران : الآية ١٦٩ .

٢.رواه أحمد .

٣.سورة الأعراف : الآية من ٤٠ .

٤.سورة الحج : الآية من ٣١ .

العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى قال تعالى : (يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)^(١).

وفى الصحيحين عن عائشة رضی اللہ عنہا : (دَخَلْتُ عَلَى عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ
الْمَدِينَةِ ، فَقَالَتْ : (إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يَعَذِّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، قَالَتْ فَكَذِبْتَهَا فَخَرَجْتُ وَدَخَلَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزًا مِنْ عَجَائِزِ يَهُودِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
دَخَلَتْ فَزَعَمَتْ أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يَعَذِّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(صَدَقَتْ) إِنَّهُمْ يَعَذِّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا ، قَالَتْ : (فَمَا رَأَيْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي صَلَاةٍ
إِلَّا وَيَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .

وفى صحيح ابن حبان عن (أم مبشر) قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول : (تَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلِلْقَبْرِ عَذَابٌ ؟ قَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّهُمْ لِيَعَذِّبُوا فِي قُبُورِهِمْ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ) ولقد خص رسول الله
صلى الله عليه وسلم سماع البهائم لعذاب بعض أهل القبور ، لأن البهائم لا تعقل ، ولا تفكر
ولكن الإنسان يعي ، ويفكر ، ويعقل فلو أنه سمع ذلك لكره الحياة ، وانقطع أمله فيها ، وتعد
عن العمل وتقعاس عن كل شيء في الحياة الدنيا ، وتعتطلت نواويس الحياة وتلك رحمة
من الله عز وجل بعباده .

وروى من حديث (عائشة) رضی اللہ عنہا قالت : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (للقبور ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها) (سعد بن معاذ) . (وسعد بن معاذ) هو
الصحابي الجليل رضی اللہ عنہ هو الذي عزت السماء فيه (محمداً) صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ

١.سورة المصطفين : الآية :٦.

قَضَىٰ حُبَّهُ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ^ط وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا^(١). حيث سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : محرّضاً الجنود على القتال (والله لا يقتاتلنهم اليوم رجل صابر ، محتسب ، مقبل غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، فقال يا رسول الله ، أمّا بينى وبين الجنة سوى هذه التمرات ، قال نعم ، فرمى بهنّ من يده ، وانطلق إلى ميدان المعركة يهيج فى صفوف المشركين كما يهيج الجمل الأورق حتى لقى ربّه شهيداً ، ولم يستطع المسلمون التعرف عليه يومذاك لماذا ؟ لأنه كان فى جسده ثنتان وثمانون مأبّين ضربة بسيف رمية بقوس ، وطعنة برمح ، وإصابة بهم ولم تعرفه يومذاك إلا أخته ، وقد عرفته بثيابه وأطراف أصابعه ، وقد شيعت جنازة (سعد بن معاذ) سبعون ألفاً من الملائكة . أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومع ذلك لم يسلم من ضغطة القبر ، فما بالناس نحن المقصرين فى أمور الدين فضلاً عن ارتكاب المناكر ، واقتِرف الذنوب ، واجترّح السيئات ، وكراهية المسلمين بعضهم لبعض ، وأكل مال اليتيم ظلماً^ط (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)^(٢).

هذا بالإضافة إلى عدم التعاون والله قد أمر به فى قوله تعالى (....وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) وكراهية الإصلاح بين الناس وعدم إثارة الفتن ، يقول تعالى : (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)^(٣). وفى آية أخرى (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ)^(٤) كما نرى انعدام الترحم فى المجتمع الإسلامى لدى

١.سورة الأحزاب : الآية: ٢٣.

٢.سورة المائدة :من الآية: ٢.

٣.سورة البقرة:من الآية ١٩١.

٤.سورة البقرة:من الآية٢١٧.

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن في توأدهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) .ويقول الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو أن أحداً ألقى من خمة القبر ، لا عفى منها) (سعد بن معاذ) .

فالنعيم والعذاب ثابتان بالكتاب والسنة المطهرة في الحياة البرزخية وأن الله سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثة :

أولاً ، دار الدنيا .
ثانياً ، دار البرزخ
ثالثاً ، دار القرار -وهي الدار الآخرة .

وجعل الله عز وجل لكل نارا أحكاماً تختص بها ، فقد ركّب الإنسان من بدنٍ ونفس ، وجعل أحكام الدار الدينيّه على البدن والروح تبعاً لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعيّه مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام (الحياة البرزخية) على الأرواح والأبدان تبعاً لها فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتأملت بألمها ، والتزت براحتها ، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعته الأبدان والأرواح في نعيمها وعذابها ، وحينئذ تكون الأرواح هي التي تباشر النعيم والعذاب ، حيث إن الأبدان هنا ظاهرة ، والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور للأرواح والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها فتجرى أحكام البرزخ على الأرواح ، فتسرى إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً مثلما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً .

وقد ذكر (ابن ابى الدنيا) فى (كتاب القبور) عن الشعبي (أنه ذكر رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقعدة حتى يغيب فى الأرض ثم يخرج فبفعل به ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (أبو جهل بن هشام) يعذب إلى يوم القيامة .

أين مستقر الأرواح ؟

هذه مسألة خلافية ، فقال فريق من أهل العلم : إن أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذ لم يحبسهم عن الجنة (كبيرة ولا دين) وتلقاهم ربهم بالعمفو والرحمة وهذا قول (أبى هريرة ، وعبد الله بن عمر) رضى الله عنهم أجمعين ويرى فريق آخر أنهم بفناء الجنة ، يعنى على باب الجنة يأتيهم من روحها ، ونعيمها ، ووزناتها . ويقول فريق ثالث : إن الأرواح على أفنية قبورها ، ويقول مالك رحمة الله : إن الأرواح مرسله غير محبوسة تذهب حيث تشاء وقال الإمام أحمد فى رواية لأبنة (عبد الله) (أرواح الكفار فى النار وأرواح المؤمنين فى الجنة .

وقال بعض الصحابه والتابعين : إن أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا على هذا القول .

ويرى فريق آخر أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالوش تغدو وتروح إلى رياض الجنة تأتي ربها فى كل يوم تسلم عليه وبهذا المعنى تكون الروح على ثلاثة أقسام : -

١- أرواح المقربين قال تعالى :

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ) (١)

١.سورة الواقعة: من الآية ٨٨-٨٩.

٢- أصحاب اليمين قال تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾)^(١)

٣- وريح ضالة ، وأخيراً الله عز وجل عنها أن لها نزلاً من حميم يقول سبحانه: (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٣٥﴾ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَتَصْلِيَةٌ سَاجِدَةٍ ﴿٣٧﴾)^(٢).
وأما قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا يَخَافُوا وَلَا يَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) ^(٣)

وذلك التنزل يكون عند الموت وفي القبر ، وعند البعث ، وأول بشائر الآخرة عند الموت ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرواح المؤمنين فى طير خضر كالزراير تأكل من ثمر الجنة) وهو حديث رواه لنا (عبد الله بن عمرو) رضى الله عنهما .
هل ينتفع أليت بسعى الأحياء !

نعم ينتفع الأموات بسعى الأحياء ، وذلك بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء ، وأهل الحديث والتفسير وهما :
أحدهما :سعى الميت ، وما قدمه من خير فى حياته .

ثانيهما : دعاء المسلمين له ، واستغفارهم ، وسائر أعمال البر مثل الصلاة والصدقة ، والحج .
واختلف العلماء فى العبادة البدنية هل تصل إلى الميت وينتفع بها أم لا ؟ .

١.سورة الواقعة :الآية: ٢٧-٣٤.

٢.سورة الواقعة : الآية٩٢ : ٩٤.

٣.سورة فصلت : الآية٣٠.

فمذهب الإمام (أحمد بن حنبل) وجمهور السلف ، وصواها ، وهو أيضاً قول معين أصحاب الإمام (أبو حنيفة النعمان بن ثابت) صاحب المذهب المعروف رحمة الله عليه والمشهور من مذهب (الشافعي) والإمام (مالك) أن ذلك لا يصل (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)^(١) ونحن نرجح انتفاع الميت بهذه الأشياء وإليك الدليل : يروى لنا مسلم في صحيحه من حديث (أبي هريرة) رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة) صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوله) . فهو المتسبب في كل هذه الثلاث (الصدقة الجارية ، والعلم النافع والولد الصالح) وفي سنن ابن ماجه من حديث (أبي هريرة) رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته) علماً علمه ونشراً ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ÷ أو نهراً أكراه^(٢) ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته . وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث (جرير بن عبد الله) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ويزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزانهم شيء .

وهذا المعنى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من عدة وجوه صحاح وحسان وفي المسند عن حذيفة قال : (سأل رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك القوم ثم إن رجلاً أعطاه ، فأعطى القوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من سنَّ خيراً

١. سورة النجم : الآية : ٣٩ .

٢. أكراه : يعنى حفرة : المقصود بابن آدم الأول وهو قابيل .

فاستنّ به كان له أجره ، ومن أجور من تبعه غير منقص من أجورهم شيئاً ، ومن سنّ شراً فاستنّ به كان وزره ، ومن أوزر من تبعه غير منتقص من أوزرهم شيئاً.

وقد دلّ على هذا، بل وأيده قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقتل نفس ظمماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سنّ القتل. فإذا كان ذلك يحدث في العقاب فمن باب أولى يحدث في الفضل والثواب .

ومالنا نذهب بعيداً والقرآن الكريم بين أيدينا وفي قلوبنا وتعيش به أرواحنا فيقول الله عز وجل في محكم كتابه الكريم (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.....)^(١) فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم. فدل ذلك على انتفاع

الأموات بعمل الأحياء وقد دلّ على انتفاع الأموات بدعاء الأحياء ، وإجماع الأمة على الدعاء للميت في صلاة الجنائز ، والأمر بالإكثار من الصفوف وشرع المناداة على الميت وإعلان الناس نبأ وفاته وذلك ليتبع المسلمون الجنائز ، وفي ذلك رحمة للميت ومغفرة له .

وفي السنن من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم: - (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء) وفي السنن حديث (عثمان بن عفان) رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم : إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

ولذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم ، فقد ورد في صحيح مسلم من حديث (بريدة بن الخطاب) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون

١.سورة الحشر : من الآية : ١٠ .

نسأل الله لنا ولكم العافية. وفي صحيح مسلم. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من آخر الليل إلى البقيع فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، وفي صحيح مسلم أن عائشة رضی الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نقول إذا استغفرنا لأهل القبور ؟

قال عليه السلام : (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا أن شاء الله بكم لاحقون . وهذا توجيه من النبي عليه السلام وإرشاد وتعليم . ودليل أيضاً على أن الأموات ينتفعون بعمل الأحياء . وإن الصدقة يصل ثوابها إلى الميت ، ودليل ذلك ما روى في الصحيحين عن عائشة رضی الله عنها . أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له يا رسول الله : إن أمي أفلتت نفسها ولم توصل وأظنها لو تكلمت لتصدقت ، أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال نعم . وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضی الله عنهما أن (سعد بن عبادة) توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال نعم : قال : (فإني أشهدك أن حائط المخراف صدقة عنها . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة . رضی الله عنه . أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أبي مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفى أن أتصدق عنه ؟ قال نعم ، وفي السنن ومسنند أحمد عن (سعد بن عبادة) قال يا رسول الله إن (أم سعد) ماتت فأى الصدقة أفضل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : (الماء) فحفر بئراً وتقال هذه (لأم سعد) والسرفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم -أجاب (سعد بن عبادة) حينما سأله أى الصدقة أفضل ؟ فقال له الرسول عليه السلام (الماء) لأن الماء فى ذلك الوقت يُعدّ من

المطالب الملحة على الإنسان ، وأنه من الأساسيات التي لا يمكن الاستغناء عنها في الجزيرة العربية يومذاك ، وخاصة أنهم (بَدُو) وأهل الصحراء يقطعون الفيافي والوديان فهم في مسيس الحاجة إلى الماء فيه تقوم حياتهم ، وحياة إبلهم ، وأنعامهم ، كما كان العشب والكأ من الضرورات أيضاً ، بل هو والماء يمثلان عُمَدَ الإقتصاد لديهم يومذاك وكم من معارك نشبت ، وحروب اشتعلت على مرعى من المراعى أو فى سبيل بئر للماء لذلك كانت إجابة الرسول عليه السلام على سؤال (سعد ابن عباد) بأن أفضل الصدقة (الماء) ولذلك نرى (سعداً) بادر بحفر بئر قائلًا (هذه لأمّ سعد) ولأمر يختلف باختلاف العصور ، فلا عتبه لأحد عن الماء فى أى عصر ، وفى أى زمن ، وفى أى مكان يقول تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْ أَلْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا)^(١) ونحن نرى أن الصدمة فى هذا العصر أفضلها (المال) فبالمال يستطيع الفقير ، والمتصدق عليه أن يشتري به ما هو فى حاجة إليه من كساء أو غذاء ، أو إعانة على سداد دين واجب عليها وإتفاق على طالب علم ، أو الإسهام فى مشروع من لمشروعات الخيرية ، والتي تقام بالجمهور الذاتية كبناء مدرسة أو مستشفى أو تعبيد طريق من الطُّرُق أو أى عرض من أعراض الخير التي تشبه ما أومأنا إليه آنفاً .

وإن ثواب الصيام يصل كذلك فى الصحيحين عن (عائشة رضی اللہ عنہا) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ عَنْهُ وَلِيُّهُ . وفى الصحيحين عن ابن عباس رضی اللہ عنہما قال : (جاء رجل إلى النبی صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله (أمى ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟ قال نعم : فدين الله أحق أن يقضى وفى رواية أخرى أن امرأة جاءت إلى رسول الله عليه السلام فقلت يا رسول الله أمى ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها ؟ قال عليه السلام : أفرأيت لو كان

١.سورة الأنبياء : من الآية : ٣٠ .

على أمك دين فقضيته أكان ذلك عنها؟ قالت نعم يا رسول الله: قال عليه السلام
 فُصُومِي عن أمكِ وفي سنن أبي داوود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إذ مرض الرجل
 فى رمضان ولم يصم أطعم عنه ولم يكن عنه قضاء ، وإن نذر قضى عنه وليّه ، وأما وصول
 ثواب الحج إلى الميت فقد وردت فيه أحاديث كثيرة نذكر بعضها للتدليل على أن ثوابه
 يصل إلى الميت وينتفع به فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة
 من جهينة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمى نذرت الحج فلم تحج
 حتى ماتت ، أفحج عنها؟ قال صلى الله عليه وسلم حُجّى عنها رأيت لو كان على أمك
 دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ ؟ اقضوا الله فالله أحق بالقضاء ، ويروى الحديث من طريق آخر أن
 الخثعمية وهى امرأة من خثعم (قالت يا رسول الله : إن أمى ماتت ولم تحج أفأحج
 عنها؟ قال لها رسول الله عليه السلام : رأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية
 إيّاه؟ قالت نعم : يا رسول الله : قال عليه السلام : إذن فدين الله أولى -يعنى فدين الله
 أحق وأولى بالسداد .

الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

الفتوحات الإلمية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

الشَّفَاعَة



الفتوحات الإلهية ◆ في ◆ الحياة الأخروية

الشَّفَاعَة

إن المقصود بالشفاعة : هو : (سؤال الله الخير للناس فى الآخرة ، وبهذا المعنى تُعدّ الشفاعة لوناً من ألوان الدعاء المستجابة .ومنها الشفاعة العظمى ، وتلك لا تكون إلا لهادينا ومرشدنا ، وزعيمنا ، رائدنا ، وحبیبنا سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ما ناحت مطوقمة ، وماذرّ شارق فإن رسول الله عليه السلام يسأل الله عز وجل القضاء بين الخلق ليستريحوا من هول الموقف ، فيستجيب الله له فيغبطه الأولون والآخرون ، وبالشفاعة العظمى يظهر فضله عليه السلام على العالمين ، وهذا هو المقام المحمود الذى وعدة الله به فى قوله سبحانه : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)^(١) وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الشمس تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول : لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً بحمده أهل الجمع كلهم)^(٢) وعن أبى كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم من غير فخر)^(٣) وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات فهى مشروطة بأن تكون بإذن الله قال سبحانه : (..... مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.....) .^(٤) وأن الشفاعة لا تكون إلا لمن ارتضى الله أن يشفع له قال سبحانه :

١- سورة الإسراء : الآية : ٧٩ .

٢- رواه أبو داوود "الحاكم" .

٣- رواه أبو داوود "

٤- سورة البقرة : الآية : ٢٥٥ .

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (١)

ولا يرتضى الله الشفاعة إلا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهي ، وتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشافع عند ربه ، تنفيذاً للإرادة الإلهية عقب دعائه ، وطلب الشفاعة من الله .

وكان الوثنيون يعتمدون على أوثانهم ، التي يعيدونها من دون الله ، ويعتقدون أنها ستشفع لهم عند الله . يقول الحق سبحانه :

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴿٤٨﴾ (٢)

ونرى كثرة كاثرة من البشر يعتمدون على شفاعة الصالحاء والوجهاء من الناس واستسانحوا كل لون من ألوان الإنحراف ، والخروج عن طاعة الله ، ارتكباناً وارتكاناً على هذه العقيدة ، فقطع الله حجتهم داخضة فأنزل قوله سبحانه :

(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَتَّخِذْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا

١- سورة الأنبياء : الآية ٢٩ .
٢- سورة المنثر : الآية ٣٨-٤٨ .

﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١).

إن الإسلام هو الدين الحق ، وهو إسلام الوجه لله عزوجل ، وإحسان العمل وإتقانه ومراقبة الله عزوجل وخشيته ، وأن روح الإسلام هي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبنته فاطمة الزهراء ربحانة النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله عنهما هو قوله عليه السلام : (اعملى يا فاطمة فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً) والله عزوجل فتره عن مجاملة أحد من خلقه ، أو محاباته ، وتلك سنته فى الأولين والآخرين يقول سبحانه :

﴿١٢٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿١٢٦﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٢٧﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿١٢٩﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٢).

ثم يشفع الرسول بعد أن يأذن الله له ، وبعد انتهاء مدة العذاب للعصاة ، يشفع النبي عليه السلام فى إخراج العاصى من النار ، فأحكام الآخرة مثل أحكام الدنيا ، والتشبيه مع الفارق حيث إننا فى الحياة الدنيا ، أن كل جناية لها عقوبتها ، فجناية السارق قطع اليد وجناية الزنى المحصن الرجم ، وجناية غير المحصن الجلد فكل جناية لها عقوبتها هذا حسب الشريعة الإسلامية ، وكذلك فى القانون الوضعى والنزى هو من صنع البشر فإننا نرى الأحكام أيضاً متباينة ، فعقوبة السارق بخلاف عقوبة القاتل ، وعقوبة الزنى تخالف عقوبة سارق المال العام ، وتختلف أيضاً الحكم على المرتشى وهكذا – فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر بعد دخولهم النار فيقبل الله شفاعته فيهم ويخرجهم منها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله

١- سورة النساء : الآية ١٢٣-١٢٥.

٢- سورة النجم : الآية ٣٦-٤١.

صلى الله عليه وسلم قال: (لكل نبي دعوة مستجابة يدعوا بها ، وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة) (١).

وزد مسلم فى روايته على ما تقدم : (فهى أى الشفاعة تأتله يعنى ستصيب وننال إن شاء الله تعالى من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم : فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين) (٢).

ويقول سبحانه :

(يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) .

١- رواه البخارى ومسلم .
٢- رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه . وسموا بهذا الاسم (الجهنميين) لئذكروا ما كانوا فيه من عذاب ، وما أدركوه من نعيم فيزدادوا فرحاً وسروراً .